تأمل في حياة القديس يعقوب الحمطوري

تضرع بلا انقطاع الى الرب ان يؤهله لتلبية دعوته الالهية "تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلّموا منّي لاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم . لان نيري هيّن وحملي خفيف "(متى 20: 28 – 29).

ولم يجد في اي مكان راحة كالتي وجدها في التواضع ،ولم يجد اي اضطرابا كما في الكبرياء، تواضع امام الجميع لهذا رفعه الله " اتضعوا قدام الرب فيرفعكم " (يعقوب 4: 10) .

اجتذبه الله من حياة الفانية الى نور الحياة الابدية. فكان يعتبر نفسه من دون نعمة الله ليس بشيء اكثر من قصبة جافة شجرة عديمة الثمر. اناء للخطيئة وللاهواء . واعتبر كل الصالحات في داخله هي من نعمة الله ، اذ ما يملكه هو فقط الاهواء والخطايا.

قادته الصلاة بلا انقطاع الى التواضع اذ نظر الى اعماق نفسه ولم يجد عنده شيء صالح ولذا لا يستطيع ان يحقق شيئا ، بلا معونة الله ، وبالرغم كل هذا لم يتوقف عن التضرع الى الله .

وهكذا كان يصلي بالتواضع وبالصلاة تواضع وتقدم روحيا . هذا التواضع الكامل الذي كان ينمو في ذاته ما هو الا لحفظ وصايا الرب حفظ دقيقا .

القديس يعقوب الحمطوري لم يلتصق بالامور المادية فبقي حرا من الروابط العالمية المحزنة ، قلبه لا يقويه بالمطربات العالمية ، لم يطلب راحة وعزاء في الملذات الجسدية لانه لا يرتاح ابدا فيها.

طلب الرب الخالق ليلا ونهارا ،طلبه حتى اقتناه فوجده باكمله داخل ذاته.

فأتعب نفسه وسهر وصبر حتى تغلب على اهوائه وضعفاته حتى كأفئه الرب ."لهذا ازدد تواضعا ما ازددت عظمة تنال حظوة لدى الرب" (سيراخ 3: 18) . " كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة هي من فوق نازلة من عند ابي الانوار "(يعقوب 1: 17) .

فكانت ارادة القديس الصالحة تلد الاتعاب والاتعاب الفضائل والفضائل العمل الروحي الذي أدى الى الثبات في الفسضلة وجعل النفس في حالة طبيعية كما كانت ايام الفردوس الالهي الى درجو ملامسة قلب الله .

هذه دلالات على توبته وصدقه وتذكره لله دائما في وسط العالم المتناسي لذكر الله. كان دائما يحضر الى ذهنه خوف رهيب ورهبة ساعة الدينونة . هناك حيث تفتح المصاحف والكتب ليحاكم كل واحد . اذ سيجد كل المستحقين المجد الالهي والملكوت السماوي مفتوحا لهم " لن يدخله شيئ دنس ولا ما يصنع رجسا وكذبا "(رؤيا 12: 27) .

لذا يقول الاباء القديسون : اذا مت قبل ان تموت فلت تموت عندما ستموت . اي ان مت قبل موتك الجسدي موتا عن الخطيئة ، عندئذ لن تكون نهاية حياتك على الارض موتا بل انتقالا الى حياة اخرى مغبوطة لا نهاية لها ، وفي تلك الساعة تستطيع ان تقول للرب : " مستعد قلبي يا الله، مستعد قلبي.." .

لقد ادرك القديس الشهيد سعقوب الحمطوري تهمية الشهادة الداخلية وعرف قيمتها فهو يقول مع بولس الرسول :" اني أموت كل يوم "(1 كورنثوس 15: 13) . ان الشهادة اي الموت لاجل المسيح ليس مجرد احتمال بل هو بالحقيقة حاضرة في حياتنا اليومية .

لهذا كان دافع الشهادة اساسا لحياة القديس يعقوب الحمطوري لاختيار الحياة بالمسيح .

لذا في كل يوم وفي كل ساعة كان القديس يعقوب كستعدا للحظة الشهادة المرهوبة ، اذ حفظ في ذهنه ذكر الموت . فالموت عنده لم يكن غايته بل على العكس هو تحرر من طغيان الاهواء واتحاد ابدي مع الرب يسوع . ولم يجد خيرا اكبر من الشهادة التي تقود الى الاتحاد بالله في ملكوت السماوات.

رجاءه وأمله وفرحه وراحته كانوا في الرب الرحيم والعطوف والرؤوف والطويل الاناة. وكان غناه نعمة الروح القدس التي كانت تظلله ، وكنزه حضور الرب الحي حوله وداخله الذي وهبه السلام الذي يفوق كل عقل . لسان حاله قول المزمور:" شلايعة فمك (فمك الرب) خير لي من ألوف ذهب وفضة "(مزمور 118: 72) ،" القليل الذي للصدِّيق خير من ثروة أشرار كثيرين ، لان سواعد الاشرار تكسر وعاضد الصديقين هو الرب "(مزمور 36: 16 – 17) .

هكذا كانت حياته ، جهاد الحياة ، والحياة جهاد . " غير متكاسلين في الاجتهاد وحارين في الروح عابدين الرب" (رومية 12: 11) .جاهد سهر تيقظ لم يضيع اي لحظة من الوقت في حياته ، فالوقت اعطي له لكي تحرث نفسه وتقتني الصالحات الابدية ، حرص على ألا يخلو يومه من الاعمال الروحية والجهاد الروحي. حياته كانت الحرب المستمر ، الوزنة التي كانت معه لم يخفيها بل ضاعفها لئلا يسمع ابدا " ايها العبد الكسلان عرفت اني احصد من حيث لم ازرع واجمع من حيث لم ابذر اما كان ينبغي ان تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربا" (متى 25: 260 27) .

لسرور ولغطبة ،وعيد واحتفال روحي ابدي للقديس الشهيد يعقوب الحمطوري الذي اتحد سريا بالرب يسوع المسيح . لنفرح ونسلتذ بالنشوة الروحية بهذا القديس الذي اتحد بالذي لايموت واستحق الحياة الابدية . فطوبى للذي يحفظ وصايا الرب، طوبى للذي يصون حياته ، كوبى للذي يلتهب بمحبة الله الالهية.

" طوبى لانقياء القلوب فانهم لله يعانون " (متى 5: 8) .

فلك من قلوبنا وعقولنا وافواهنا اذ نقول لك:

افرح .. افرح .. يا شهيدنا العظيم .

الاب باسيليوس محفوض